JAEL: Journal of Arabic Education and Linguistic
E-ISSN : 2987-8349
Vol. 04 No. 02, Desember 2024
DOI : https://doi.org/10.24252/jael.v4i2.54755

الفكري اللغوي بين الجرجاني وتشومسكي من خلال نظريتي النظم والتوليدية

أحمد عثمان فضيل حسن

Universitas El Imam El Mahdi, Sudan
E-mail : fidalahmad38@gmail.com

Abstrak : Penelitian ini merupakan studi komparatif antara ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī (w. 1078 M) dan Ferdinand de Saussure (w. 1913 M), dengan menyoroti bahasa sebagai sistem relasional. Al-Jurjānī mengembangkan teori naẓm yang menekankan pentingnya struktur dan konteks dalam menghasilkan makna, sementara Saussure memandang bahasa sebagai sistem tanda arbitrer dan membedakan antara langue dan parole. Kajian ini bertujuan menunjukkan titik temu konseptual antara keduanya dalam aspek struktur, konteks, dan relasi antara lafaz dan makna. Dengan menggunakan metode deskriptif dan komparatif, penelitian ini menegaskan bahwa pemikiran balaghah Arab klasik tidak semata bersifat retoris, tetapi juga mengandung prinsip-prinsip analisis linguistik fungsional. Hasilnya, gagasan al-Jurjānī tampak mendahului beberapa ide linguistik modern, sementara Saussure meletakkan dasar-dasar bagi ilmu bahasa sebagai sistem ilmiah. Kajian ini menjadi sumbangsih dalam membangun dialog antara warisan linguistik klasik dan pendekatan kontemporer.

Abstract : *This paper presents a comparative study of ʿAbd al-Qāhir al-Jurjānī (d. 1078 CE) and Ferdinand de Saussure (d. 1913 CE), focusing on their respective views of language as a relational system. Al-Jurjānī's naẓm theory emphasizes the significance of syntactic order and contextual meaning, asserting that meaning arises from the structural relationships between words. Saussure, on the other hand, introduces a structuralist approach, framing language as a system of arbitrary signs and distinguishing between langue and parole. The study aims to highlight the conceptual intersections between classical Arabic rhetoric and modern structural linguistics, particularly in terms of structure, context, and the form-meaning relationship. Using comparative and analytical methods, it argues that Arabic rhetorical thought contains latent linguistic insights that align with, and in some aspects precede, key tenets of modern linguistics. The findings suggest that al-Jurjānī anticipated modern linguistic functions by emphasizing contextual interpretation, while Saussure laid the groundwork for linguistics as an autonomous discipline. This research thus contributes to a knowledge integration between classical Arabic heritage and contemporary linguistic thought.*

المستخلص

تُقدِّم هذه الدراسة قراءة مقارنة بين عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) وفرديناند دي سوسير (ت 1913م)، في ضوء النظر إلى اللغة بوصفها نظامًا دلاليًا متكاملًا. يستعرض البحث نظرية النظم عند الجرجاني، التي ترى أن المعنى لا ينبثق من الألفاظ المفردة، بل من علاقاتها داخل السياق التركيبي، ويقارنها بمقولات دي سوسير حول البنية اللغوية، والفرق بين اللغة والكلام، والعلامة الاعتباطية. تسعى الدراسة إلى بيان نقاط الالتقاء بين التراث البلاغي العربي واللسانيات البنيوية، خاصة في قضايا البنية والسياق والدلالة، مؤكدةً أن الفكر البلاغي العربي لم يكن مجرد خطاب بياني، بل امتلك رؤية لسانية وظيفية. وتخلص إلى أن الجرجاني سبق عصره في وعيه بدور السياق والتركيب، فيما وضع سوسير الأساس لعلم اللغة كنسق معرفي مستقل. تعتمد الدراسة على المنهج المقارن والتحليل المفهومي، في محاولة لتفعيل التكامل المعرفي بين الموروث العربي واللسانيات الحديثة

Kata kunci: Teori Naẓm; Linguistik Struktural; Konteks dan Makna; Balaghah Arab; Komparasi Linguistik.

Keyword: Naẓm Theory; Structural Linguistics; Context and Meaning; Arabic Rhetoric; Linguistic Comparison

الكلمات المفتاحية: نظرية النظم، اللسانيات البنيوية، السياق والدلالة، البلاغة العربية، المقارنة اللغوية

مدخل

يتناول هذا البحث إلى استكشاف أوجه التلاقي والتقارب بين الفكر اللغوي العربي عند عبد القاهر الجرجاني ، والفكر الألسني المعاصر ، المتمثل في اجتهادات علماء الألسنية التوليدية التحويلية ، وذلك في إطار الدعوة إلى إعادة قراءة التراث العربي ، في ضوء المفاهيم الألسنية المعاصرة ووصلها به ن ووصله بها ، إثراء للدرس اللغوي المعاصر في بيئاته المختلفة . وقد اخترت من علماء التراث العربي عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم ، لمقارنة النظرية التوليدية التحويلية بنظريته ، لوجود العديد من أوجه الالتقاء بين النظريتين . وعلى سبيل المثال ، فإن نظرية تسومسكي تشبه في مفهومها للتقديم والتأخير فكر الجرجاني ، ذلك لأن أهم عنصر يعني ويهتم به ، هو العنصر المقدم على بقية العناصر الأخرى في التركيب اللغوي [1]. ومن ناحية أخرى فإن نظرية تشومسكي قد فرضت نفسها في الدرس اللغوي ، ولا توجد مدرسة من المدارس اللغوية الأخرى، إلا وتحرص على تحديد موقفها من أفكاره .[2]

وإن كانت لنظرية تشومسكي هذه المكانة المتميزة فإن دراسة عبد القاهر الجرجاني للنظم وما يتصل بها تقف بكبرياء كتفا إلى كتف مع أحدث النظريات اللغوية في الغرب تفوق معظمها في مجال فهم التركيب اللغوي هذا مع الفارق الزمني الواسع [3]. وقد سلكت سبيل المقابلة للكشف عن أوجه الالتقاء بين النظريتين والإبانة عما يمتازان به، وقد قمت ببيان أهدافها وأسسها ومنطلقاتها في الدرس اللغوي، ثم بينت الوسائل التي سلكاها لبلوغ الأهداف إضافة إلى إلقاء الضوء على تصميم النظريتين وبيان عناصر بنائهما على نحو موجز يتفق مع حجم هذا البحث.

هدف الدرس اللغوي عند الجرجاني وتشومسكي ومنطلقاته

نتناول بيان الهدف من الدرس اللغوي عند الجرجاني وتشومسكي مؤسس النظرية التوليدية التحويلية، مركزين على ظروف تكون أفكارها إضافة إلى بيان الأهداف والمنطلقات وذلك على الترتيب التالي:

[1]- دراسات لسانية تطبيقية ، للدكتور مازن الوعر ، ص67-68.

[2]- John Loyons : Chomsky , P.9

[3]- د. تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها ، ص18.

الفكر اللغوي عند الجرجاني

يقول الدكتور عبده الراجحي عن الدرس اللغوي عند العرب أمدته القراءات بالنقل والاعتماد على الرواية وأمدته الأصول والكلام بالطابع العقلي ، الذي جعله لا يتوقف عند ظواهر اللغة توقف الوصف المباشر وإنما يتعداه إلى تفسير هذه الظواهر تفسيرا عقليا يوصله إلى القوانين المضطردة التي يرونها فيما وراء الاستعمال اللغوي [4]. ويمكن القول بناء على هذا أن الهدف من الدرس اللغوي عند العرب قد تعدى الوصف المحض للظواهر اللغوية إلى محاولة تفسيرها بإعمال العقل للوصول إلى القوانين والأنظمة التي تحكم الاستخدام اللغوي. وإذا كان هذا هدف الدرس اللغوي عند العرب بعامة فإننا نجد ما يشير إليه في عدد من الأقوال المنسوبة إلى عبد القاهر الجرجاني فنجد يعرفنا ابتداء بمفهوم النظم فيقول : " أعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو ، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها[5] ويقول في موضع آخر من كتاب دلائلك الإعجاز : " ليس النظم إلا توخي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفرقوه فيما بين معاني الكلام ، وصور أدائها يقول : " أعلم أن معاني الكلام كلها معان لا تتصور إلا فيما بين شيئين والأصل والأول هو الخبر ون الثابت في العقول والقائم في النفوس أنه لا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه " [6] . ويبين الجرجاني طريقة صوغ الكلام بناء على قوانين النحو قائلاً : " إذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غير أن تعتمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعول أو تعتمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر .. " [7]. أما اهتمام الجرجاني بالتفسير للأبنية اللغوية فيمكن تناوله من خلال بيان الظروف التي نشأ فيها حيث يذكر : " أنه كان أشعريا وأن أبا الحسن الأشعري قال : إن الكلام نوعان : نفسي ولفظي .. ومن أجل ذلك استهدف عبد القاهر الجرجاني في نظريته في النظم بيان أن جوهر الكلام هو ذلك الكلام النفسي وأما الكلام اللفظي فهو ظل لهذا الكلام النفسي " [8] ولم تكن كتابات الجرجاني في البلاغة إلا انعكاسا لهذا الاتجاه وخدمة لعقيدته ودينه ورغبه في أن يفهم الناس إعجاز القرآن كما ينبغي أن يفهم في رأيه . ومن اجل هذا انصبت جهود الجرجاني في الدعوة للعناية بالمعاني وعدها الأساس وان الألفاظ تبع لها ومعبرة عنها يقول : " وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج إلى أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها وأن العلم بمواقع المعاني في النفس علم بمواقع الألفاظ الدالة عليها في النطق " [9]. ويقول عن دور المعنى في ترتيب عناصر الجملة : " بأن بذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في

---

[4]- د. عبده الراجحي ، النحو العربي والدرس الحديث ، ص 19-20.
[5]- دلائل الإعجاز ، ص66-76.
[6]- دلائل الإعجاز ، ص 58.
[7]- د. درويش ، البياني العربي ، ص 9 .
[8]- د. درويش ، البيان العربي ، ص9.
[9]- دلائل الإعجاز ، ص51.

النظم وأن الكلم تترتب في النطق بسبب ترتب معانيها في النفس " [10]. إن العناية بالمعاني جعل الجرجاني يعطي العقل دورا أساسا في الدرس اللغوي ونجد ونجده يشير إلى هذا بقوله : " وجملة الأمر أن الخبر وجميع الكلام معا ينشئها الإنسان في نفسه ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله " [11]. ويفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم ويشير إلى دور العقل في ذلك بقوله : " إن نظم الحروف هو توالها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ، ولا الناظم بمقتف في ذلك رسما من العقل ، اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه ".[12]

ويوضح الجرجاني الهدف من بيان الفرق بين نظم الحروف ونظم الكلم بقوله : " ليس الغرض بنظم الكلم أن توالت ألفاظها في النطق بل أن تناسقت دلالتها وتلاقت معانيها على الوجه الذي اقتضاه العقل " [13]. إن خلاصة ما يمكن الخروج به من هذه الأقوال هو أن الدرس اللغوي عند الجرجاني كان يرمي من وراء نظريته إلى بيان معاني الكلام والكشف عن الدلالات وفق قوانين النحو وأصوله وأن منطلقه في ذلك كان منطلقا عقليا ناتجا عن اهتمام الأشاعرة بالمعاني النفسية دون الاكتفاء بملاحظة الألفاظ المعبرة عنها فحسب . ومن جانب آخر فإنه ينبغي النظر إلى إسهامات الجرجاني في الدرس اللغوي مقرونة بما كانت تحفل به أجواء الجدل العلمي وتموج به ساحات الصراع بين الفرق المختلفة فإن كان للجرجاني هذه العناية بالمعاني وعدها الأساس فقد حظيت الألفاظ عند غيره بالحفاوة وعدت هي الأول والمعاني تابعة لها يقول الجاحظ : " والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والمدني وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظة " .[14]

ويقول ابن خلدون : " أعلم أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني إنما المعنى تبع لها وهي أصل " [15]. ويتضح من أقوال الجرجاني حدة المناقشات بين الفريقين يقول : " وأعلم أني على طول ما أعدت وبدأت وقلت وشرحت في هذا الذي قام في أوهام الناس من حيث اللفظ لربما ظننت أني لم أصنع شيئا وذاك أنك ترى الناس كأنه قضى عليهم أن يكونوا في هذا الذي نحن بصدده على التقليد البحت وعلى التوهم والتخيل " [16]. وقد أفرد الجرجاني حيزا من تأليفه في الرد على العناية بالألفاظ محتجا بوقوع الألفاظ أولاً في أذن السامع فذكر أن العبرة ليست في وصول الرسالة اللغوية إلى أذن السامع بل الأصل هو حال منشئ الرسالة اللغوية يقول : " الواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع وإذا نظرنا علمنا محال أن يكون الترتيب فيها تبعا لترتب الألفاظ ومكتسبا عنه لأن ذلك يقتضي أن تكون الألفاظ سابقة للمعاني وأن تقع في نفس الإنسان أولا ثم تق ع المعاني من بعدها .. بالعكس مما

---

[10]- المرجع السابق ، ص 52.
[11]- المصدر السابق ، ص334.
[12]- دلائل الإعجاز ، ص 48.
[13]- المرجع السابق ، ص 49.
[14]- أنظر الصناعتين لأبي هلال العسكري ، ص 57 -58.
[15]- ابن خلدون ، المقدمة ، ص 111.
[16]- دلائل الإعجاز ، ص 235.

يعلمه كل عاقل إذا هو لم يؤخذ عن نفسه ولم يضرب حجاب بينه وبين عقله وليت شعري هل كانت الألفاظ إلا من أجل المعاني .. " [17]. وقد أدت هذه المناقشات والمساجلات إلى بلورة نظرية النظم عند الجرجاني وإلى إثراء جوانبها من خلال التعبير عن أفكارها والكشف عن جوانبها وسنجد لهذه المعارضات نظيرا عند تشومسكي .

الفكر اللغوي عند تشومسكي : هدفه وأسسه ومنطلقاته :

نشأ تشومسكي بنيويا ، تتلمذ على رواد هذا الاتجاه وكان البنيويون يعنون في تحليلهم اللغوي بشكل الأبنية ويشكون في إمكان اتخاذ المعنى أساسا لإجراء التحليل اللغوي لعدم إمكان إخضاع المعاني للقياس والتجريب [18]. ولم تتبلور أفكار تشومسكي حول نظريته في فترة وجيزة حيث أنها ظلت عرضة للتغيير والتبديل استجابة لأفكار زملائه من اللغويين ومع أنه كان في المرحلة الأولى من نظريته أكثر اهتماما بشكل الأبنية اللغوية [19]، وليس المعنى عنده هو الذي يدل على الشكل ولكن هو الذي يقود إلى المعنى [20]، فإن هدف الألسنية عنده كان مختلفا عن هدف الألسنية البنيوية عند بلومفيلد ، ويقول في هذا الصدد : " إن النحو لهذه المادة يجب أن يؤسس قواعد عامة ، تكون قابلة للتطبيق في كل اللغات تعتمد على الخصائص الجوهرية للعقل " [21]. إن إعطاء العقل دورا في التحليل والتقعيد والتعويل عليه في فهم الأبنية اللغوية وتفسيرها إضافة على تخطي الوصف اللغوي المحض القائم على الملاحظة المجردة للأشكال اللغوية يعد في رأي من أول ما يمثل نقاط الالتقاء بين الإمام عبد القاهر الجرجاني وتشومكسي بل أنه الأساس الذي تتفرع عنه نقاط الالتقاء الأخرى ، كيف لا وهو يمثل هدف النظرية عند الفريقين ، كما ان المنطلق العقلي يأتي قاسما مشتركا بين الرجلين .

ولم تظهر النزعة العقلية عند تشومسكي في أفكار النظرية الأولى لكنها تبلورت في كتاباته المتأخرة [22]، مما جعل الباحثين يعدونه من منظومة العقليين " الذين يرون أن العقل الإنساني هو وسيلة المعرفة على عكس الوصفيين ممن يرون أننا نصل إلى المعرفة عن طريق التجربة " [23]. وفي هذا الصدد يقول الدكتور ميشال زكريا : " تنحو النظرية التوليدية التحويلية منحى عقلانيا بالإمكان اعتباره النمط العقلاني المتماسك والوحيد الذي برز في السنين الأخيرة " .[24]

وإذا كان الجرجاني قد انطلق في نزعته العقلية من حرصه على خدمة الكتاب العزيز وبيان الإعجاز فيه متأثرا باتجاهه الأشعري في الحفاوة بالمعاني النفسية فإن تشومسكي قد تأثر بنحاة القرن

---

[17]- دلائل الإعجاز ، ص265.

[18]- American Linguistics , 1925,1950 , P.122-123

[19]- O. Thomas : The transformational grammar and the teacher of English P.21

[20]-Paul Roberts : English Syntax , P .5

[21]- N. Chomsky : Selected Writings , P. 1

[22]- P. Roberts : English : Syntax , P. ix

[23]- النحو العربي والدرس الحديث ، ص 118.

[24]- د. ميشال زكريا ، الألسنية وتعليم اللغة ، ص 143.

السابع عشر في أوربا من أصحاب النحو التقليدي ، ويقول في هذا الصدد : " هناك تشابهات كثيرة بين نحو القرن السابع عشر ولم اللغة من حيث المناخ الفكري إن النحو الفلسفي يشبه النحو التحويلي الحالي ، في تطوره في مقابل الإرث الوصفي الذي يعد عمل النحو فيه التسجيل المجرد للمادة اللغوية وتصنيفها " [25] ، ويرى أن نحو القرن السابع عشر قد أثر في علم اللغة في اتجاهه للعناية بالجانب التفسيري للغة [26]، دون الانحصار في دائرة الوصف المجرد . وبالطبع فلم تكن أفكار تشومسكي واتجاهه العقلي مرضيا عنه من قبل معارضيه خاصة الوصفيين ونكتفي هنا بإيراد وجهة نظر أندرية مارتنيه الذي يقول : " إن تشومسكي رجل منطق وعالم رياضيات ولكنه ليس بعالم لساني " [27]. ومما وجه إلى تشومسكي من نقد وإلى أتباعه القول إنهم " يعتقدون أن كل لغة تتألف من مسند أو مسند إليه وهذا غير صحيح لأن هناك حالات لا تتضمن ذلك ويمكن أن يكون هناك المسند دون المسند إليه "[28]، وعند سؤاله عن البنية العميقة (الباطنة) والبنية السطحية (الظاهرة) قال ليس هناك سبب مقنع لكي نعتبر أن هناك بنية عميقة في اللغة فليس ما يسمى بالاستتار ا للغوي وذلك لأننا عندما نتكلم لغة ونمارسها فإننا نفعل ذلك دون بنية عميقة أو مستترة بل أننا نمارسها كبنية سطحية .[29]

ومن هذه الأقوال لمارتنيه يتضح حجم الخلاف بين تشومسكي وغيره من المعارضين لاتجاهه ولا شك أن هذه المناقشات قد أعانت في التمكين للاتجاه التوليدي وأكسبته النصراء وبدأ يحدث أثره في مجال الدرس اللغوي المعاصر وفي غيره من المجالات [30]. أما النحو الذي أراد تشومسكي أن يجعله بديلا لنحو الاتجاه البنيوي فيمكن وصفه بأنه نظام من القواعد تعبر عن الارتباط بين الصوت والمعنى في اللغة [31]،" وأنه يحاول أن يضع في الحسبان استعداد صاحب اللغة لفهم أية جملة تكون مناسبة للظروف ومفهومة للمتحدثين الآخرين "[32], كما أن الجمل التي تنشأ بموجب هذا النحو يجب أن تحظى بالقبول اللغوي ،وإذا كان الجرجاني من دعاة العناية بالمعاني وعدها الأساس والألفاظ تابعة وخادمة لها فإن النظرية التوليدية التحويلية تقوم على الربط بين المعاني والألفاظ في إطار متكامل يقوم على أساس كفاية المتكلم وقدرته على تفهم لغته وإدراك عناصرها بالبنائية ويعرف تشومسكي بنظام النحو التوليدي بقوله : " إن النحو التوليدي يجب أن يكون نظاما من القواعد المتكررة التي تولد من التراكيب ويمكن أن يحلل هذا النظام إلى ثلاثة عناصر : هي العنصر التركيبي والعنصر الفونولوجي والعنصر الدلالي ويقوم العنصر

---

[25] - N. Chomsky : Carestian Linguistics , P .55

[26] - N . Chomsky : Language and mind , P.15

[27] - دراسات لسانية تطبيقية ، ص 283.

[28] - المرجع السابق ، ص283.

[29] - المرجع السابق ، ص283.

[30] - N. Chomsky Language and responsibility , P. 130 - 132

[31] - N. Chomsky : Studies on semantics in generative grammar , P. 62

[32] - John Loyos : Chomsky , P. 36

التركيبي بتقديم كافة المعلومات ذات الصلة الوثيقة بتفسير الجملة أما العنصر الفونولوجي فإنه يحدد الشكل الصوتي لها على حين أن العنصر الدلالي يقوم بتحديد التفسير الدلالي لها " [33]

دلالات النظرية التوليدية التحويلية ومقارنتها بنظرية النظم

ذكرنا من قبل أن نظرية تشومكسي قد مرت بعدة مراحل حتى تبلورت أفكارها ونريد في هذا الحيز من البحث أن نركز على تصميم النظرية فيما عرف بمرحلة النظرية الأساسية Standard Theory وقد أشرنا إلى أن النظرية في هذه المرحلة تتألف من ثلاثة عناصر : " والعنصر التركيبي يتكون من عنصرين هما : العنصر الأساسي الذي يضم البناءين الباطن والظاهر للجملة أما العنصر الثاني من العنصر التركيب فهو العنصر التحويلي الذي يحول البناء الباطن إلى بناء ظاهر يجسد الصورة الصوتية للجملة كما تظهر منطوقة أو مكتوبة ، والعنصران الدلالي والفونولوجي تفسيران فقط ، حيث يقوم العنصر الدلالي وفق قواعد معينة بإعطاء التفسير الدلالي للجملة على حين أن العنصر الفونولوجي يعطي الشكل الظاهر للجملة [34]. ويوضح الدكتور ميشال زكريا عمل هذه العناصر هذه العناصر الثلاثة بقوله : " يعبتر المكون التركيبي المكون التوليدي الوحيد أي المكون الذي يصف بنية الجملة العميقة (الباطنة) ويحدد عناصرها المؤلفة لها في حين أن المكونين الفونولوجي والدلالي تفسيران فبعد أن يلحظ للكون التركيبي بنى الجمل يفسر المكون الدلالي بنى هذ الجمل ويخصص المكون الفونولوجي كل تركيب لغوي بنطق خاص " [35]. إن الذي تم استحداثه في هذه المرحلة هو الفصل بين البنائين الباطن والظاهر [36]،وقد بنيت فكرة البناءين الباطن والظاهر للجملة على أساس أن هناك مستويين يتعلقان بفهم اللغة : أحدهما ما أسماه بالكفالة اللغوية Competence والثاني ما أطلق عليه الأداء اللغوي Performance والكفاية اللغوية هي معرفة الإنسان الضمنية للغته في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين [37]. ومن أجل بيان عمل النظرية بعناصرها الثلاثة فإننا يمكن أن نأتي بمثال من العربية هو قوله تعالى : (إلا أن تكون تجارة حاضرة تديرونها) [38] ، وقد اختلف القراء في (تجارة حاضرة) فقرأ عاصم بالنصب فيها وقرأ الباقون برفعها [39]، وقال الزجاج في بيان المعنى على أساس القراءتين أكثر القراء على (رفع تجارة حاضرة) على معنى (إلا أن تقع تجارة حاضرة) ومن نصب (تجارة) فالمعنى إلا أن تكون المداينة تجارة حاضرة [40].

---

[33] - N. Chomsky : Aspects of the theory of Syntax, P.16

[34] - N. Chomsky : Studies on Semantics in generative grammar , P. 12

[35] - د. ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية ، 157.

[36] - N. Chomsky Language and responsibility , P136

[37] - د. ميشال زكريا ، الألسنية (المبادئ والأعلام) ، ص45 -46.

[38] - سورة البقرة ، الآية 282.

[39] - النشر في القراءات العشر 237/2 ، وأنظر في القراءات السبع ، ص85.

[40] - معاني القرآن وإعرابه للزجاج 365/1، وأنظر الحجة في القراءات السبع للابن خالويه ، ص 103 ، وكتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد ، ص193.

وهناك توجيها أخرى للمعنى على هاتين القراءتين وأوردنا في كتابنا عن أثر عناصر البناء الظاهر في التفسير الدلالي للجملة من خلال القراءات القرآنية [41]. ونريد أن نبين هنا أن المكون التركيبي في النظرية الأساسية يضم كافة المعلومات الخاصة بفهم هذه الجملة بناء على استخدام المتحدثين باللغة ، واعتمادا على كفايتهم اللغوية وما يقوم به العنصر اللغوي الدلالي هو تحديد التفسير الدلالي للعناصر المؤلفة للجملة في حين يجسد العنصر الفونولوجي الصورة التي تبدو عليها الجملة بحسب ما استقر من تحديد دلالي للعناصر البنائية وفي هذا المثال فإن اختلاف المعنى وتقدير العناصر المحذوفة يكمن في مرحلة البناء الباطن ومن اختصاص المكون التركيبي ويتم تحويل البناء الباطن إلى بناء ظاهر بواسطة القواعد التحويلية وتسير القواعد التي تحكم توليد هذه الجملة وتحويلها بناء على قراءة النصب واعتبار كان ناقصة كما يلي :

(إلا أن تكون تجارة حاضرة)

1. ج - أداة + أداة + عنصر زمن + ع س + ع خ
2. ج - أداة + أداة + كلم أسمية + ع س + ع خ
3. ج - أداة + أداة + كلمة أسمية + كلمة أسمية + كلمة وصفية .
4. ج - إلا + أن + تكون + التجارة + تجارة + حاضرة .
5. ج - (إلا أن تكون تجارة حاضرة)

تمثل القاعدة الأخيرة البناء الظاهر لهذه لجملة وتمثل القاعدة الرابعة البناء الباطن وبمقارنة البناءين نلحظ حدوث تحويل بالحف حيث حذف اسم (تكون) وفقا لقاعدة التحويل بالحذف . هذا بالنسبة لنظرية تشومسكي في المرحلة الأساسية ولكن في عام 1970م أدخل تشومسكي تعديلا عليها ذهب إلى أن البناء الظاهر للجملة يمكن أن يسهم في تفسير الدلالي [42] " ويقتضي هذا التعديل الحاصل الإبقاء على تحديد الدلالة بصورة ضمن البنية العميقة (الباطنة) وإضفاء التمثيل الدلالي عليها إلا أن بعض القضايا اللغوية المحدودة أصبح لابد لإعطائها التمثيل الدلالي من العودة إلى عناصر معينة يجري إدخالها في المكون التحويلي [43]. وإضافة إلى ما تقدم فإن النظرية الأساسية الموسعة قد اشتملت على مفهوم جديد هو مفهوم الأثر [44] Trace،ويمكن أن يعرف بأنه عنصر ما في البناء الظاهر يمكن ان يسهم في تفسير المعنى المضمن في البناء الباطن للأبنية اللغوية .

41- أنظر عناصر البناء الظاهر في التفسير الدلالي للجملة من خلال القراءات القرآنية للدكتور بكري محمد الحاج ، ص 39 -44.

42- N. Chomsky : Reflections on Language , P. 81-82

43- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة ، ص 118.

44- أنظر تشومسكي والثورة اللغوية لجون سيرل ، ص 141

موازنة النظرية التوليدية بنظرية النظم

ذكرنا من قبل أن النظريتين تلتقيان في تخطي الوصف المجرد للأشكال اللغوية الظاهرة إلى محاولة تفسيرها واكتشاف أبنيتها الباطنة اعتمادا على كفاية المتحدثين وحدسهم اللغوي وإعمال العقل وإعطائه دورا أساسا في التفسير وإدراك العناصر البنائية . وبإمعان النظر في تصميم النظريتين يمكن الخروج بالمقارنات التالية :

1. يلتقي الجرجاني وتشومسكي في العناية والاهتمام بمستوى الجملة في نظريتها ويبدو اهتمام الجرجاني بالجملة من خلال عدد من أقواله من ذلك حديثه عن معاني الكلام بقوله : " أعلم أن معاني الكلام كلها معان لا تتصور إلا فيما بين شيئين والأصل والأول هو الخبر ومن الثابت في العقول والقائم على النفوس ألا يكون الثابت في العقول والقائم على النفوس ألا يكون خبر حتى يكون مخبر به ومخبر عنه " [45]. كما بين أن صوغ الجملة بناء على قوانين النحو يتم بأن " تعند إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعول أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر " .[46]

وقد بين الجرجاني هنا طريقة بناء الجمليتين الاسمية والفعلية من أجل حمل رسالة المتكلم إلى سامعه . وحيث أن الجرجاني كان معني ا بقضية الإعجاز القرآني وبيان معاني الكتاب العزيز والكشف عن أسراره فقد كان طبيعيا أن ينال مستوى الجملة منه هذا الاهتمام لأنه من خلال الجملة يظهر إعمال العقل ومعاودة النظر وتخير المعاني لحمل الرسالة اللغوية ولا يتوفر هذا للكلمات المفردة يقول : " إن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط ، وليس نظمها بمقتضى عن معنى ولا النظام بمقتف في ذلك رسما من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه ما تحراه " .[47]

قد شبه في موضع آخر من دلائل الإعجاز صياغة الكلام على مستوى الجملة بما يفعله أهل الصناعات : " واعلم أن مثل واضح الكلام مثل من يأخذ قطعة من الذهب أو الفضة فيذهب بعضها في بعض حتى تصير قطعة واحدة وذلك أنك إذا قلت : " ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له " فإنك تحصل من مجموعة هذه الكلم كلها على مفهوم معنى واحد لا عدة معاني كما يتوهه الناس وذلك انك لم تأت بهذا الكلام لتفيد أنفس معانيها وإنما جئت بها لتفيده وجوه التعلق التي بين الفعل (ضرب) وبين ما عمله فيه والأحكام التي هي محصول التعلق " [48]. وإذا كان أصحاب الصناعات يجهدون أنفسهم لتنال مصنوعاتهم الرضا والقبول فإن تأليف الكلام لابد أن يحقق القبول (بتوخي معاني النحو فيما بين معاني هذه الكلم) [49]، ولذلك أشار الجرجاني إلى أهمية النحو ودوره في الكشف عن معاني الكلام يقول : "

---

[45]- دلائل الإعجاز ، ص 323.
[46]- المرجع السباق ، ص 51.
[47]- المرجع السابق ، ص 48.
[48]- دلائل الإعجاز ، ص 263.
[49]- المرجع السابق ، ص 59.

ذلك لأنهم لا يجدون بدا من أن يعترفوا بالحاجة فيه إذ قد علم أن الألفاظ مغلقة على معانيها حتى يكون الإعراب هو الذي يفتحها وأن الأغراض كامنة فيها حتى يكون هو المستخرج لها " [50]. إضافة إلى ما تقدم من قول الجرجاني التي تدلل على عنايته بمستوى الجملة نختم بقوله : " ومما ينبغي أن يعلمه الإنسان ويجعله على ذكر أنه لا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني أفرادا ومجردة عن معاني النحو فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معاني اسم من غير أن يريد إعمال فعل فيه وجعله فاعلا له أو مفعولا أو يريد منه حكما سوى ذلك من الأحكام مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة أو حالا وما شاكل ذلك " [51]. إن هذه الأقوال توضح توجه نظرية النظم في المقام الأول للعناية بمستوى الجملة للتعبير عن رسالة المتكلم تعبيرا يكشف عن المعاني ويوافق أصول النحو وقوانينه.

أما اهتمام تشومسكي بمستوى الجملة فإنه يمثل أساسا في نظريته وباعثا له على تأسيس اتجاهه الذي يخالف الاتجاه البنيوي الذي تتلمذ على أساتذته ويقول جون سيرل في هذا الصدد : " حين كان تشومسكي يعد بحثه للدكتوراه حاول أن يطبق الطرق التقليدية لعلم اللغة البنيوي على دراسة نظام الجملة Syntax فقد تحقق له أن هذه الطرق التي تمتعت ظاهريا بفاعلية كبيرة في دراسة الفونيمات والمورفيمات لا تتوافق جيدا مع دراسة الجمل إذ أن كل لغة تتضمن عدد محدودا من الفونيمات والمورفيمات على حين أن عدد الجمل في كل لغة طبيعية عدد غي ر متناه ومن الصعب في حالة التزامنا بالمفترضات البنيوية أن نعطي تعليلا لهذا الواقع [52]. ويتضح اهتمام تشومسكي بمستوى الجملة من خلال نماذجه التحليلية المختلفة التي وضعها لدراسة الجملة بداء بنموذج قواعد بناء العبارة [53]. الذي يعتمد على شكل الأبنية اللغوية الدالة على المعنى [54]، مرورا بنموذج النحو التحويلي وصولا إلى القواعد التوليدية التحويلية التي تعبر عن الارتباط بين الصوت والمعنى في اللغة [55] . ونحن نجد ان القاعدة الأساس التي وضعها تشومسكي لبيان حدود الجملة والكشف عن عناصرها البنائية هي :

إذا كانت نظرية تشومسكي في مرحلتها الأساسية قد احتوت على ثلاثة عناصر رئيسية وأن العنصر التركيبي يقدم كل المعلومات ذات الصلة بتفسير الجملة وأن العنصرين الدلالي والفونولوجي تفسيريان فقط : يعطيان الدلالية والقراءة الصوتية للجملة فإننا لو تأملنا في نظرية النظم من خلال أقوال الجرجاني لأمكن ملاحظة الإطار العام لهذه النظرية فالجرجاني يحدثنا عن بداية إنشاء الرسالة اللغوية في ذهن المتكلم وإعتمالها داخل النفس ، ودوران أفكارها في العقل والقيام بترتيب المعاني ترتيبا متوافقا مع مضمون الرسالة والتركيز على بعض عناصرها البنائية وأن الأساس في كل ذلك هو المعنى وهذا

---

[50]- المرجع السابق ، ص36.

[51]- دلائل الإعجاز ، ص 261.

[52] - J. Searle : Chomsky and revaluation in linguistics , P. 4

[53]- أنظر : N. Chomsky : Syntactic , P. 20 , Language and responsibility , P. 125 -126

[54] - R. Robert : English Syntax , P. 4-5

[55] - N. Chomsky : Studies on semantics in generative grammar , P.62

كله يمكن أن يقارن بالعنصر التركيبي في نظرية تشومسكي وهو العنصر الذي يحمل المعلومات ذات الصلة بتفسير الجملة [56] ، ويقول عبد القاهر الجرجاني : " وإنك إذا فرغت من ترتيب المعاني في نفسك لم تحتج أن تستأنف فكرا في ترتيب الألفاظ بل تجدها تترب لك بحكم أنها خدم للمعاني وتابعة لها ولاحقة بها " [57] ويوضح هذا النص أن الرسالة اللغوية من مرحلتها الأولى تتم داخل النفس وأنها تتطلب فكرا وإعمالا للعقل كما يشير إلى الخطوة الثانية وهي قيام الألفاظ بخدمة المعاني عن طريق تجسيدها والتعبير عنها والدلالة عليها وان الألفاظ ليس لها دور أساس في رسالة المتحدث عنها سماعة من حيث تحديد علاقات مكوناتها وإعطاء عناصرها التفسير الدلالي وهي لا تملك استقلالا بل تأتي تابعة للمعاني وخدم لها ويؤكد الجرجاني هذا الأمر في أكثر من موضع من مؤلفاته حيث يقول : " وجملة الأمر أن الخبر وجميع الكلام معان ينشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله وتوصف بأنها مقاصد وأغراض [58]، ومن ذلك رده على من ذهب إلى المعاني تابعة للألفاظ لوصولها أولا إلى أذن السامع فبين أن الاعتبار ينبغي أن يكون مجال الواضع للكلام والمؤلف له والواجب أن ينظر إلى حال المعاني معه لا مع السامع .

إن هذه الأقوال تؤكد ما سبق أن اشرنا إليه من تشابه وتقارب بين نظرية النظم والنظرية التوليدية التحويلية من حيث عناصرها وطريقة عملهما فإذا كان الأساس عند تشومسكي هو العنصر التركيبي الذي يحدد علاقات عناصر الجملة ويحمل كافة المعلومات المتعلقة بتفسيرها فإن أقوال الجرجاني تبين أن الأساس في الرسالة اللغوية الموجهة إلى السامع هو صاحب الرسالة وهو الذي يراجع فيها نفسه ويعمل فيها عقله ويرتبها بحسب ما يريد التركيز عليه من عناصر لإبراز أهميتها ثم تأتي الألفاظ في مرحلة تالية خدمة لمعاني هذه الرسالة عن طريق التعبير عنها مقروءة أو منطوقة .

2. إن تبعية الألفاظ للمعاني وقيامها بخدمتها على هذا النحو الذي ذكرناه منسوبا للجرجاني يعيد إلى أذهاننا دور المكون الفونولوجي في نظرية تشومسكي وعلاقته بالمكون التركيبي وذهاب تشومسكي إلى أن المكون التركيبي هو الذي يصف البنية الباطنة للجملة ويحدد عناصرها المؤلفة لها ويبين تشومسكي: " أن البناء الباطن هو الذي يتحكم في المنطوق " [59]، عن هذا القول لتشومسكي يكاد يتطابق مع ما ذهب إليه الجرجاني في قضية تبعية الألفاظ للمعاني وترتبها بحسب ترتب معانيها في نفس صاحب الرسالة .

3. كان مما أكد عليه الجرجاني في نظرية النظم موافقة البناء اللغوي لقوانين النحو وأنظمته وقد ذكرنا من قبل أن الجملة التي تولدها القواعد في نظرية تشومسكي وتحولها إلى بناء ظاهر لابد أن تحظى

---

56 - N . Chomsky : Aspects of the theory of Syntax , P. 16

57 - دلائل الإعجاز ، ص 51.

58 - دلائل الإعجاز ، ص 334.

59 - N . Chomsky : Carestian Linguistics , P. 35

بالقبول اللغوي وإلا لما كانت متصفة بصفة النحوية وقد كتب تشومسكي مقالا عن درجات الصحة النحوية .

4. أما أهم ما تميزت به نظرية تشومسكي في مرحلتها الأساسية وهو الفصل بين البناءين الباطن والظاهر فنستطيع أن نرى لها ظلالا في عدد من الأقوال المنسوبة للجرجاني من ذلك أنه بعد أن يبين طريقة صوغ الجملة من اسم وفعل او من أسمين ومحددا وظائفها النحوية يذكر أن الترتيب من اسم وفعل أو من اسمين ومحددا وظائفها النحوية يذكر الترتيب وتحديد علاقات هذه العناصر البنائية ليس للفظ دخل فيه يقول : " إن كان لا يكون في الكلم نظم ولا ترتيب إلا بأن يصنع بها هذا الصنيع ونحو وكان ذلك مما لا يرجع منه إلى اللفظ شيء ومما لا يتصور أن يكون فيه ومن صنعته بأن ذلك أن الأمر على ما قلناه من أن اللفظ تبع للمعنى في النظم " [60]. إن قول الجرجاني " فإذا وجب المعنى أن يكون أولا في النفس وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله أولا في النطق " [61]. لا يخرج عن مفهوم البناءين الباطن والظاهر عند تشومسكي لأن تقديم بعض العناصر إنما يحدث من أجل العناية والاهتمام : " وإنما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى "[62]. وإن العنصر الذي يقدم للعناية والاهتمام في البناء الظاهر يخالف الترتيب الأصلي الذي كان عليه في البناء الباطن " والأصل تقديم المبتدأ وتأخير الخير " [63]، هذا بالنسبة للجملة الاسمية وتقديم الفعل على الفاعل في الجملة الفعلية[64]. إن فكرة البناءين الباطن والظاهر نجد لها إشارات مبكرة في التراث العربي فهذا سيبويه يتحدث عنها في باب ما يجري على الموضع على الاسم الذي قبله يقول : " وذلك قولك : ليس زيد بجبان ولا بخيلا " والوجه فيه الجر لأنك تريد أن تشرك بين الخبرين وليس ينقص إجراؤه عليه المعنى " .[65]

إن عطف كلمة (بخيلا) على (بجبان) قد روعيت فيه البنية الباطنة لهذه الجملة هذه البنية التي تحمل الأساس وتعبر عن علاقات العناصر البنائية الخاصة بها وأما الجر فيتم على أساس البناء الظاهر .

ونكتفي هنا في مجال المقارنة بين النظريتين ببيان تناول الجرجاني لبعض هذه التغييرات التحويلية وبالتحديد التغيير عن طريق الحذف وعن طريق إعادة ترتيب مكونات الجملة وذلك كما يلي :

أ-التحويل عن طريق الحذف:

إن المنطق العقلي في الدرس عند الجرجاني ومراعاة الأبنية الباطنة للجملة هو المسوغ لحذف بعض العناصر البنائية وتأدية المعنى على نحو موجز من حيث استخدام الألفاظ خاصة إذا وجدت عناصر في البناء الظاهر دلت على المحذوف أو وجدت قرينة حالية أعانت على إدراكه من ذلك حديث

60- دلائل الإعجاز ، ص 265.
61- ا دلائل الإعجاز ، ص 265.
62-الكتاب 34/1.
63- همع الهوامع للسيوطي ، 102/1.
64- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك 423/1 -414.
65- الكتاب ، 67/1.

الجرجاني عن حذف المفعول به ومثاله : " أصغيت إليه " يريدون أذني [66]، وكذلك تناوله لحذف المبتدأ يقول : " ومن المواضع التي يضطرد فيها حذف المبتدأ القطع والاستئناف وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ " [67]. ويشير إل العنصر المحذوف في قوله تعالى : " وأسأل القرية " [68]، بقوله : " والأصل وأسأل أهل القرية فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل وعلى الحقيقة هو الجر والنصب فيها مجاز " [69]،فقد أورد الجرجاني هنا في البناءين الباطن والظاهر لهذه الجملة وبين العنصر المحذوف وأوضح المعنى بناء على الفتحة في المفعول به في البناء الظاهر وهي أثر يمكن أن يعين في الوصول إلى المعنى .

ب. التحويل عن طريق إعادة ترتيب المكونات :

يعد التحويل عن طريق إعادة الترتيب لعناصر الجملة مظهرا من مظاهر إعمال العقل لفهم الأبنية اللغوية وتفسيرها معانيها وقد أفاض الجرجاني في كتبه في الحديث عن هذه الظاهرة . ويشير الجرجاني إلى الفروق الدقيقة في المعنى عند تقديم بعض عناصر الجملة في البناء الظاهر في مثال النكرة المقدمة على الفعل يقول : " إذا قلت : (أجاءك رجل ؟) فأنت تريد أن تسأله : هل كان مجيء من أحد من الرجال إليه ؟ فإن قدمت الاسم فقلت : (أرجل جاءك) فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة " [70].

الخاتمة

الحمدلله الذي وفقني لإكمال هذا البحث وقد استطاع أن يضع أيدينا على عدد من نقاط الالتقاء الفكري اللغوي عند الجرجاني والنظرية التوليدية التحويلية عند تشومسكي ويمكن إبراز أهمها على النحو التالي:

1. يلتقي الجرجاني وتشومسكي في الهدف من الدرس اللغوي : حيث عملا على تخطي الوصف المجرد للظواهر اللغوية إلى محاولة تفسيرها والكشف عن الأبنية الباطنية للجمل اعتمادا على العقل وانطلاقا منه وقد تأثر الجرجاني في اتجاه العقلي بالأشاعرة الذين كانوا يعنون بالمعاني النفسية للكلام جون الاكتفاء بالألفاظ الظاهرة . في حين أن تشومسكي قد تأثر بنحاة القرن السابع عشر عند إحساسه بعدم وفاء المناهج البنيوية بمقابلة وصف الجملة التي تتميز بعدم المحدودية في اللغات الطبيعية .

---

[66]- دلائل الإعجاز ، ص 111.
[67]-المرجع نفسه ، ص105.
[68]- سورة يوسف ، ص82.
[69]- أسرار البلاغة ، ص362.
[70]- دلائل الإعجاز ، ص 102.

2. تبلورت أفكار الجرجاني وتشومسكي من خلال أجواء الجدل العملي ومعارضة المناوئين لهما وقد وأدت المناقشات بينهما وبين المعارضين إلى وضوح معالم اتجاه الجرجاني المتميز وإلى التمكين للاتجاه التوليدي مما جعل له أثرا واضحا في الدرس اللغوي الحديث وفي غيره من المجالات .

3. يشارك الجرجاني تشومسكي في العناية بمستوى الجملة ولما كنا الجرجاني معنيا بقضية الإعجاز القرآن فقد كان طبيعيا أن تحظى الجملة عنده بهذه العناية إذ يبدو من خلالها إعمال العقل ومعاودة النظر وتخير المعاني وترتيبها لحمل رسالة المتكلم إلى السام ع . أما دراسة الجملة عند تشومسكي فقد كانت باعثا له على تأسيس اتجاهه حيث شعر أن نظريات البنيويين لا تفي بوصف الجملة التي لا تتسم بعدم المحدودية .

4. تقترب أفكار الجرجاني الخاصة بتكون الرسالة اللغوية بدءا في ذهن المتكلم ودوران أفكارها في عقله وترتيب معانيها في نفسه من مفهوم المكون التركيبي في نظرية تشومسكي وهو المكون الذي يحمل كافة المعلومات ذات الصلة بتفسير الجملة.

5. إن مفهوم تبعية الألفاظ للمعاني وقيامها بخدمتها والتعبير عنها يقترب من مفهوم المكون الفونولوجي في نظرية تشومسكي حيث أنه يعطي القراءة الصوتية للجملة على أساس ما تحدد لها من دلالات وما وضع لها من ترتيب في المكون التركيبي .

6. نجد ظلالا لمفهوم البناءين الباطن والظاهر في نظرية النظم عند الجرجاني يشبه ما استق ر عنهما من أفكار في مرحلة النظرية الأساسية عند تشومسكي .

7 استخدم الجرجاني فكرة التحويلات اللغوية التي تؤدي إلى تغييرات عند تحول الأبنية الباطنة إلى أبنية ظاهرة ومن أبرز التغييرات التحويلية التي عنى بها الجرجاني وأبرزها في نظريته التغيير عن طريق الحف وعن طريق إعادة الترتيب لعناصر الجملة.

النظرة النقد أكاديمية للفكر اللغوي بين الجرجاني وسوسير

نقد نظرية النظم عند الجرجاني ونظرية العلامة والبنية عند دي سوسير يبيّن التباين المنهجي والغائي في فهم اللغة بين التراث العربي واللسانيات الحديثة. نظرية الجرجاني، التي ظهرت قبل قرون من التأسيس الرسمي لعلم اللسانيات، تمتاز بسبقها الزمني والنظري، حيث طرح الجرجاني مفاهيم تتقاطع مع التحليل البنيوي الحديث، مثل التركيب والبنية والسياق. وقد ركّز على أن المعنى لا يُستخلص من المفردات المفردة بل من علاقاتها داخل التركيب النحوي، وهي مقاربة توازي أطروحات دي سوسير عن العلاقات داخل النسق اللغوي. كما أن الجرجاني دمج بين البنية النحوية والجمالية، فجعل من التحليل اللغوي فعلًا ذا وظيفة مزدوجة: معرفية وجمالية، في الوقت ذاته أكّد على دور السياق في فهم المعنى، وهو أمر ظلّ مهمّشًا في نظريات البنيوية الصارمة.

مع ذلك، يؤخذ على نظرية الجرجاني بعض المآخذ. من أبرزها ارتباط تحليله اللغوي بأغراض بلاغية ودينية، إذ كان رهينًا لخدمة علوم الشريعة وبلاغة القرآن، مما حجب عنه الحيادية المطلوبة في التحليل اللغوي وفق المنظور اللساني الحديث. كذلك، لم يفصل الجرجاني بين اللغة كنظام (langue) وكلام الفرد(parole) ، ولم يعالج اللغة كظاهرة مستقلة عن التفسير، فضلًا عن غياب التأسيس الاصطلاحي الدقيق الذي يجعل كثيرًا من أفكاره قابلة لتأويلات متعددة.

أما دي سوسير، فقد أحدث نقلة نوعية بتحويل دراسة اللغة إلى علم مستقل بعيد عن الفلسفة والبلاغة، وطرح تحليلًا تجريديًا دقيقًا للغة كبنية من العلامات، لا كوسيلة للتواصل فقط. ميّز بين النظام اللغوي المشترك (langue) والاستعمال الفردي(parole) ، مما مهّد لتطور البنيوية واللسانيات الحديثة. غير أن تصوّره للبنية اللغوية كان مغلقًا، فأهمل السياقات الثقافية والاجتماعية والنفسية التي تنتج فيها اللغة. كما أن افتراضه الاعتباطية المطلقة بين الدال والمدلول أغفل جوانب الترابط الصوتي-الدلالي التي أشار إليها الجرجاني واهتم بها لاحقًا علماء اللغة الوظيفية. كذلك، الجمود البنيوي في نموذج سوسير وعدم اكتراثه بتطور اللغة واستعمالها أدى إلى ظهور تيارات نقدية لاحقة كالبراغماتية واللسانيات الاجتماعية.

عند المقارنة النقدية بين النظريتين، يظهر أن الجرجاني يمتاز بدمجه بين المعنى والسياق والتركيب، في حين يتميز دي سوسير بتجريده اللغة إلى نظام علمي. نقطة ضعف الجرجاني تكمن في خضوع تحليله لأهداف دينية وبلاغية، بينما تكمن نقطة ضعف سوسير في عزله اللغة عن وظيفتها الثقافية والاجتماعية. من حيث الحداثة، يُعد الجرجاني سابقًا لعصره في فهمه للتركيب والدلالة، بينما يُعد سوسير مؤسسًا للاتجاه البنيوي في اللسانيات. الجرجاني يرى اللفظ تابعًا للمعنى وسياقيًا، بينما يعتبره سوسير علامة مستقلة ضمن نسق تقابلي. أما في النظر إلى المعنى، فيراه الجرجاني مقصودًا سياقيًا يخدم البلاغة، في حين يراه سوسير ناتجًا عن الفرق بين العلامات.

وفي الخلاصة، فإن كلاً من الجرجاني وسوسير أسهما في تشكيل وعي لغوي جديد، رغم اختلاف المناهج والمقاصد. الجرجاني أرسي أساسًا وظيفيًا وبلاغيًا للغة في إطار ديني وجمالي، بينما طوّر دي سوسير نموذجًا علميًا تجريديًا للغة كنسق من العلامات. ويُظهر هذا التباين إمكان التكامل بين النظريتين، بحيث تُفهم اللغة في آنٍ واحد كنظام بنيوي من العلامات (وفقًا لسوسير)، وكأداة دلالية وسياقية لخدمة المعنى (كما أكّد الجرجاني).

المراجع

al-ʿAskarī, Abū Hilāl. *Kitāb al-Ṣināʿatayn: al-Kitābah wa al-Shiʿr*. Edited by Muḥammad ʿAlī al-Bījāwī and Muḥammad Abū al-Faḍl Ibrāhīm. Miṣr: Maṭbaʿat Dār Iḥyāʾ al-Kutub al-ʿArabiyyah, 1371 H / 1952.

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. *Asrār al-Balāghah*. Edited by Sayyid Muḥammad Rashīd Riḍā. Miṣr: Dār al-Manār, 1373 H.

al-Jurjānī, ʿAbd al-Qāhir. *Dalā'il al-Iʿjāz*. Edited by Sayyid Muḥammad Rashīd Riḍā. al-Qāhirah: Maktabat Muḥammad ʿAlī Ṣubayḥ wa Awlāduh, 1380 H / 1960.

al-Rājiḥī, ʿAbduh. *al-Naḥw al-ʿArabī wa al-Dars al-Ḥadīth*. Bayrūt: Dār al-Nahḍah al-ʿArabiyyah, 1979.

al-Suyūṭī, Jalāl al-Dīn. *Hamaʿ al-Hawāmiʿ Sharḥ Jamʿ al-Jawāmiʿ*. al-Qāhirah: Maktabat al-Kulliyyāt al-Azharīyyah, 1327 H.

al-Zajjāj, Ibrāhīm ibn al-Sarī. *Maʿānī al-Qurʾān wa Iʿrābuh*. Edited by ʿAbd al-Jalīl ʿAbduh Salabī. Bayrūt: ʿĀlam al-Kutub, 1408 H / 1988.

Chomsky, Noam. *Aspects of the Theory of Syntax*. Cambridge: MIT Press, 1965.

Chomsky, Noam. *Cartesian Linguistics: A Chapter in the History of Rationalist Thought*. New York: Harper & Row, 1966.

Chomsky, Noam. *Language and Mind*. New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1972.

Chomsky, Noam. *Language and Responsibility*. Sussex: The Harvester Press, 1978.

Chomsky, Noam. *Reflections on Language*. London: Maurice Temple Smith Ltd., 1976.

Chomsky, Noam. *Studies on Semantics in Generative Grammar*. The Hague: Mouton, 1972.

Chomsky, Noam. *Syntactic Structures*. The Hague: Mouton & Co., 1964.

Ḥassān, Tamām. *al-Lughah al-ʿArabiyyah: Maʿnāhā wa Mabnāhā*. al-Qāhirah: al-Hayʾah al-Miṣriyyah al-ʿĀmmah li al-Kitāb, 1973.

Ibn ʿAqīl. *Sharḥ Ibn ʿAqīl ʿalā Alfiyyat Ibn Mālik*. Bayrūt: al-Maṭbaʿah al-ʿAṣriyyah li al-Ṭibāʿah wa al-Nashr, 1409 H / 1988.

Ibn Khālawayh. *al-Ḥujjah fī al-Qirāʾāt al-Sabʿ*. Edited by ʿAbd al-ʿĀl Sālim Makram. Bayrūt: Dār al-Shurūq, 1989.

Ibn Khaldūn. *al-Muqaddimah*. al-Qāhirah: Maṭābiʿ Dār al-Shaʿb, n.d.

Searle, John. "Chomsky's Revaluation in Linguistics." In *On Noam Chomsky: Critical Essays*, edited by Gilbert Harman. New York: Anchor Press, 1974.

Searle, John. "Chomsky wa al-Thawrah al-Lughawiyyah." *Majallat al-Alsaniyyah: Aḥdath al-ʿUlūm al-Lisāniyyah* 9–10 (1979): Ṭarābulus.

Sībawayh. *al-Kitāb*. Ṭabaʿat Būlāq, al-Qāhirah, 1316 H.

Zakariyyā, Mīshāl. *al-Alsaniyyah (ʿIlm al-Lughah al-Ḥadīth): al-Mabādiʾ wa al-Iʿlām*. Bayrūt: al-Muʾassasah al-Jāmiʿiyyah li al-Dirāsāt wa al-Nashr wa al-Tawzīʿ, 1403 H.

Zakariyyā, Mīshāl. *Mabādiʾ Naẓariyyat al-Alsaniyyah wa Taʿlīm al-Lughah*. Bayrūt: al-Muʾassasah al-Jāmiʿiyyah li al-Dirāsāt wa al-Nashr wa al-Tawzīʿ, 1405 H / 1985.